التشخيص في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي (ت ١٢٩٠هـ أو ١٢٩١هـ)

م.د.نوال جاسم محمد
جامعة ذي قار / كلية الآداب

الملخص

التشخيص لون من ألوان التصوير الاستعاري ، وهو سمة أسلوبية تنتقل بفضلها كل الأشياء من عالمها الى عالم آخر ينبض بالحياة ، فيكتسب النّص الشعري شعريّة خاصّة ؛ وذلك لما يمتلكه من قدرة إيحائية فضلا عن القدرة التأثيرية في ذهن المتلقي . واعتنى الشعراء عامة بالتشخيص في أشعارهم ومنهم الشيخ صالح الكواز الحلي(١٢٣٣هـ-١٢٩٠هـ أو ١٢٩١هـ)؛ لما له من امكانيات تعبيرية يلجأ اليها الشاعر للتعبير عمّا يجول في نفسه من ألم ، وفرح ، وحزن ، وغيرها من المشاعر وإسقاطها على ما حوله من ظواهر طبيعية وجمادات ومعنويات وبث الحياة فيها ؛ لذا جاء هذا البحث لتسليط الضوء على هذه الظاهرة الأسلوبية التي شكّلت ملمحا واضحا في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي[١] في ديوانه الذي جمعه الشيخ محمد اليعقوبي ويقع في ألف وخمسة مائة بيت شعري.[٢] في ضمنها القصائد العلويات: وهي مجموعة من القصائد التي نظمها الشيخ صالح الكواز الحلي في رثاء الإمام الحسين(عليه السلام)، وبقية شهداء الطف.[٣] والشيخ صالح الكواز من شعراء القرن التاسع عشر الميلادي الذي ضم أبرز الشعراء الذين عرفوا بحبهم لآل البيت(عليهم السلام).وكان يتمتع بموهبة شعرية جعلته يتقدم على شعراء زمانه، فضلا عن إمكانية لغوية وفنية أهلته لأن يكون فريد دهره وواحد عصره ، فقد اعترف أهل زمانه بشاعريته وفصاحته وبلاغته.[٤]

جامعة واسط
مجلـــة كليـــة التربيـــة

العـــــدد التاسع والثلاثون
الجزء الأول / أيار /٢٠٢٠

Personification in the alawites of Sheikh Saleh al-Kawas al-Hilliy (T 1290 H or 1291 H)

Dr.nawaal jasim Muhammad
Thi-Qar University
College of Arts

Abstract

Personification is the depiction of metaphor, a stylistic feature through which all things move from her world to another vibrant world, and the poetic scent acquires a special poetic, because of his suggestive ability as well as the influence ability in the mind of the recipient. The poets generally took care of the Personification in their poems, including Sheikh Saleh al-Kawas al-Haley (1233 Ah-1290 Ah or 1291 H); This research came to highlight this stylistic phenomenon, which was a clear feature of Sheikh Saleh al-Kawz's alawites(1) in his diwan, which was compiled by Sheikh Mohammed al-Yaacobi and is located in 1,500 verses. (2) Among them are the Alawite poems: a collection of poems organized by Sheikh Saleh al-Kuaiz al-Hali in the lamentation of Imam Hussein (as) and the rest of the martyrs of Al-Taf. (3) Sheikh Saleh al-Kawas is one of the poets of the 19th century, which included the most prominent poets who were known for their love for the Al-Bayt (peace be upon them).

التشخيص (Personification) تعريفه وآراء النقاد فيه :

يعد التشخيص من أبرز الوسائل الفنية التي يتوسل بها الشاعر لبناء صوره الفنية ، وهو وسيلة للتعبير عرفت في الشعر العربي والشعر العالمي مذ أقدم العصور ، وهذه الوسيلة أساسها تشخيص المعاني المجردة ومظاهر الطبيعة الجامدة في صورة كائنات حيَّة تحس وتتحرك وتنبض بالحياة.(٥) فالإنسان الذي يجهل شيئا ولا يعرفه تأخذه الفضول لمعرفة هذا الشيء وعندما لا يستطيع فهمه يسقط عليه صفاته ، ويجعل من نفسه مرجعا للمعرفة ومن ثم يكون التشخيص.(٦)

ويُعرَّف التشخيص أنه:((إضفاء انفعالات الكائنات الحية البشرية وسماتها على الأشياء)).[٧] وله دور في تجسيد التجربة الفنية والتعبير عن المجردات ،ويصفه العقاد بالملكة الخالقة :((التي تستمد قوتها من سعة الشعور حينا ومن دقته حينا آخر، فالشعور الواسع هو الذي يستوعب كل ما في الأرضين والسماوات والأجسام والمعاني فإذا هي حية كلها؛ لأنها جزء من تلك الحياة المستوعبة الشاملة)). [٨]

وقد تنبَّه البلاغيون والنقاد العرب القدماء الى التشخيص ولم يسموه باسم معين إنَّما اكتفوا بالحديث عن دلالته الفنية وذلك في تعليقاتهم البلاغية وآرائهم النقدية. وتباينت آراؤهم حوله بين مؤيد ومعارض. ويعد الفراء(ت ٢٠٧هـ)من أوائل العلماء العرب الذين تنبهوا الى التشخيص في معرض حديثه عن قوله تعالى :(جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ) في الآية الكريمة: ﴿ **فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ** ﴾[الكهف :٧٧] قال:((كيف يريد الجدار أن ينقض ؟ وذلك من كلام العرب أن يقولوا : الجدار يريد أن يسقط ، ومثله قول الله : (﴿ **ولما سكت عن موسى الغضب**﴾ [الاعراف :١٥٤] ، والغضب لا يسكت إنما يسكت صاحبه)) .[٩] وأشار الجاحظ (ت٢٥٥هـ) الى التشخيص في حديثه عن دلالة لفظة (النَّصبة) التي عرفَّها بقولـــه : ((الحال الناطقة بغير اللفظ ، والمشيرة بغير اليد ، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وفي كل صامت ، وناطق ، وجامد ، ونامي ، ومقيم ، وظاعن ، وزائد ، وناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق)) .[١٠]

وأظهر عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) القدرة التشخيصية للاستعارة في حديثه عن دلالتها بقوله :((فإنك لترى بها الجماد حيّا ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفيّة بادية جليّة... إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسّمت حتى رأتها العيون)) .[١١]

ورفض ابن طباطبا العلوي(ت٣٢٢هـ)، والآمدي(ت٣٧٠هـ) التشخيص، فالعلوي ينصح الشعراء بتجنب((الإشارات البعيدة ،والحكايات الغلقة ،والإيماء المشكل، ويعتمد ما حالف ذلك ويستعمل من المجاز ما يقارب الحقيقة ولا يبعد عنها)) [١٢]، وعدّه الآمدي من الاستعارة القبيحة أو غريب الاستعارة[١٣] ؛ وبسبب ذلك ذمَّ الكثير من استعارات أبي تمام ووصفها بالقبيحة.[١٤]

أما النقاد العرب المحدثون فقد اعتنوا بالتشخيص وبينوا مفهومه ، وأطلقوا عليه مصطلح التشخيص[*] وهو ترجمة للمصطلح:(Personification) ، وعدّوه من أبرز وسائل الصورة الفنية التي يرتكز عليها الشعراء للتعبير عن مشاعرهم وما يجول بخاطرهم ؛ وذلك لما له من ((قدرة على

التكثيف والاقتصاد والإيجاز))[١٥]، فالألفاظ لا تظل أسيرة المعجم اللغوي إنَّما ((هي طاقة تتفجر معاني وصورا جديدة وبذلك كان الشعر الأصيل أو الشعرية المتميزة تحطيما لا بمعنى الهدم وتركها ركاما انما ليعيد بنائها على مستوى أعلى)) [١٦] ، وعرّفه سيد قطب أنه :((خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية)) [١٧] ، وعدَّه لونا من ألـوان التخييل[١٨] . وتوالت تعريفات النقاد والبلاغيين المحدثين للتشخيص [١٩] ، وتعددت آراؤهم حول مفهومه ، إلا أنَّهم أجمعوا على أهمية التشخيص في بناء الصورة الفنية ، ودوره في التعبير عن مشاعر المنشئ من ألم ، وفرح ، وحزن ، وغيرها من المشاعر وإسقاطها على ما حوله من ظواهر طبيعية وجمادات ومعنويات وبث الحياة فيها .

التشخيص في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي :

دأب الشعراء على إضفاء الصفات الحياتية على الكثير من الماديات والمعنويات؛ ليفصحوا عما يعتريهم من حالات ، ومن ينعم النظر في علويات الشيخ صالح الكواز يجد التشخيص من أبرز أدوات التشكيل الاستعاري فيها ، فقد عمد الشاعر إلى تشخيص المعنويات المجردة ، والظواهر الطبيعية ، والماديات ؛ ليسقط عليها أحاسيسه ويشخصها. واللافت في علويات الشيخ صالح الكواز أنَّ التشخيص ارتبط بموضوع رثاء الإمام الحسين(عيه السلام)، وأهل بيته وأصحابه.

وقد تنوعت الصور التشخيصية في علويات الشيخ الكواز بين تشخيص المعنويات نحو : المنية، والدهر،، والحياة والموت، والرحمة، والزمان... إلى غيرها من المعنويات ، وتشخيص الحسيات، نحو: الحيوانات، والجمادات ،والنباتات ... إلى غيرها .

ومن تشخيصه للمعنويات قوله [٢٠] :

باسمِ الحُسَين دَعَا نعَاء نعاءِ فَنعَى الحَيَاة لِسَائرِ الأحْياءِ

فالشاعر هنا شخص النعي وجعله بصورة انسان ينعى الحياة، وكل من النعي والحياة أشياء معنوية غير محسوسة أضفى عليها الشاعر صفات الكائنات الحية ، فالنعي شخص يدعي وينعى ، والحياة على هيأة المتوفى . وجعل الشاعر الحياة هنا بهيأة المتوفى ما هو الا تجسيد للألم والحزن الذي ينتابه فاستشهاد الحسين (عليه السلام) بمثابة موت الحياة .

ومن عناصر تشخيصه للمعنويات في علوياته قوله [٢١] في رثاء الامام الحسين(عليه السلام) :

لَمْ أنسَ إذْ تركَ المدينـــةَ وارداً لا ماءَ مَدْينَ بَلْ نجيع دماءِ

قدْ كانَ مُوسَى والمَنيَّة إذْ دَنتْ جاءَتْهُ ماشيةٌ على استحْياءِ

حاول الشاعر هنا توظيف النَّص القرآني بطريقة رائعة تنم عن امكانية فنية ولغوية بالمقابلة بين قصتين الأولى قصة سيدنا موسى(عليه السلام) حينما خرج من مصر خائفا مترقبا الى مدْيَن حيث ماؤها العذب والتقائه ببنتي النبي شعيب(عليه السلام) إذ جاءته إحداهما ماشية على استحياء ؛ لتطلب السقاء لأغنامها .والثانية قصة سيد الشهداء الحسين (عليه السلام) إذ ترك المدينة المنورة بعدما شعر بخطر الأعداء وتربصهم به قاصدا كربلاء إلاّ ان ما قابله في كربلاء نجيع الدماء وليس ماء مدين ، وما ابنة شعيب (عليه السلام) إلاّ المنية المحتومة [٢٢] ؛ لذا فقد شبّه الشاعر الحسين (عليه السلام) بنبي الله موسى(عليه السلام) ،وصوّر الشاعر المنية بصورة فتاة وهي صورة استعارية قائمة على التشخيص أضاف فيها الشاعر بعض من الصفات الإنسانية وهي المجيء ، والمشي ، والحياء الى المنية وهي من المعنويات ، فكما جاءت ابنة شعيب ماشية على استحياء الى موسى(عليه السلام) ؛ لغرض السقاء جاءت المنية خَجِلة وهي تدنو من ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؛ لتطلب روحه الشريفة .

وممَّا يلفت النَّظر أن الشعراء إذا أرادوا أن يصوّروا المنيَّة في قصائدهم يصورونها بصورة وحش كاسر له أنياب وأظفار ، أو بصورة لص مخادع يسرق أرواح الناس على حين غفلة ، أو هو ذلك المدمِّر للوجود الإنساني بدون أي مهلة أو تأخير ... إلى غيرها من الصور المرعبة للمنية [٢٣] .إلا أننا أمام صورة مختلفة تماما ، فالمنيَّة في هذا النَّص تأتي بصورة أليفة مختلفة عن صورتها في المخيال الثقافي الجماعي فتجردت المنية هنا من الجوانب المأساوية التي تصاحبها في المخيلة الإنسانية ، وتحررت من صورتها المفزعة ؛ ليضاف إليها بعدا إنسانيا فالمنية تأتي بصورة ودية غير عدائية وهي فتاة ماشية على استحياء تدنو من الإمام(عليه السلام) بهدوء ؛ ويبدو أنَّ السَّبب وراء ذلك التشخيص ؛ ليبين الشاعر خجل المنية من حال سيدنا الحسين(عليه السلام) في صورة مؤلمة ، فالإمام(عليه السلام) مرمي على أرض كربلاء والشمر يعلو صدره ؛ ليذبحه وهو عطشان ينادي واعطشا وحيدا غريبا سليبا مقطع الأعضاء ، فحتى المنية خجلت من عِظَم الفاجعة ، وأبى جيش ابن زياد إلاّ ان يقتل الإمام الحسين(عليه السلام) ، فكل ما حول الإمام الحسين(عليه السلام) قد شاركه مصيبته. وفيكون التشخيص طاقة شعرية منحت الشاعر القدرة على إقامة صوره في تشكيل لغوي معبّر ومؤثّر يستحضر المعنى الانساني الذي يريده ويضفيه على المعنويات ، فيثير مشاعر المتلقي .

ويشبّه الشاعر في قصيدته القضاء والقدر بصورة الحاكم الذي حكم على إخوة السيدة السيدة زينب (عليه السلام) بالإعراض عنها ،وتركها ذليلة مسبية مع غيرها من نساء آل بيت النبوة (عليهم السلام) في مسيرة الى الطلقاء ، فيقول على لسان السيدة زينب (عليها السلام) [٢٤] :

حكَمَ الحِمامُ عليكُم أنْ تُعرِضُوا عَنِّي وإنْ طرقَ الهوانُ فَنائي
ما كُنتُ أحسَب أنْ يَهونَ عليكُم ذلّي وتَسْييري الى الطُلقـــاءِ

فجعل الشاعر هنا الفعل(حكم) بؤرة الاستعارة التي أقامها على بنية التشخيص، ونقل الفعل من عالمه (المحسوسات) الى عالم آخر(المعنويات) ،وهو انحراف يتناسب مع(الحمام) فهو الحاكم الذي لا راد له .

وفي قصيدة أخرى من علوياته يقول الشيخ الكواز [٢٥]:

لِي حزنُ يعقوبَ لا يَنْفك ذا لهبٍ لِصرع نَصب عَيْنِي لا الدم الكذب
وغلمـــة من بني عدنانَ أرسلها للجَّد والدُهـــا في الحربِ لا اللعب
ومعشر راودتهم عن نفوسِهـم بيض الضبا غير بيض الخرد العرب

يحاول الشاعر هنا الإفادة مرَّة أخرى من القصص القرآني في شعره ، وهذه المرّة قصة النبي يوسف(عليه السلام) ، فالشاعر أخذ عيّنات من قصة يوسف(عليه السلام) ؛ ليقابلها بما جرى في واقعة الطف ، فيشبه الشاعر حزنه بحزن يعقوب على ولده يوسف إلاّ ان حزنه على صرعى حقيقيين سالت دماؤهم على أرض كربلاء ولم تكن دماء مصطنعة كالتي اصطنعها إخوة يوسف (عليه السلام) عندما جاءوا الى أبيهم بدم كذب، وفي البيت الثاني يبيّن أن الفتية في واقعة الطف أُرسلوا الى الحرب لا الى اللّعب كما في قصة يوسف إذ أرسله أبوه مع إخوته ؛ ليلعب ويرتع [٢٦]الى أن يصل الى قوله:

ومعشر راودتهم عن نفوسهم بيض الضبا غير بيض الخرد العرب

وهذه المرّة يقابل بين قصة سيدنـا يوسف(عليه السلام) مع زليخـة وكيف أنها راودته عن نفسه، وبين موقف الحسين (عليه السلام) وأصحابه ومراودة السيوف لهم . وهي استعارة قائمة على بنية التشخيص إذ شبّه الشاعر السيوف بالنساء وذلك بإضفاء صفة مختصة بالإنسان بصورة عامة والنساء بصورة خاصّة وهي المراودة على الماديات(الجمادات) ؛ ليبين أن السيوف هي التي تأتي لهم مراودة إياهم حبا بهم وشغفا ، وكيف أنَّهم قابلوها ولم يدبروا عنها شجاعة منهم ، وإيمانا بقضيتهم ويؤكد الشاعر ذلك الموقف بقوله [٢٧] :

فانْظر إلى أجْسَادِهم قدْ قُدَّ مِنْ قُبل أغضَاؤها لا إلى القمصانِ والأهبِ

ويستمر الشاعر ببث الحياة في المعنويات ؛ لتشخيصها فهو يصوّر في موقف آخر رحمة الله (سبحانه وتعالى) بصورة امرأة قامت الى جرحى معركة الطَّف ؛ لتمرضهم وتباريهم ولم تتركهم في أرض المعركة للحلف والغضب بقوله [٢٨] :

قَامَتْ لَهم رَحمةُ البَّاري تُمَرضهُم جَرحَى فلَمْ تَدعهُم للحلفِ والغَضبِ

فبؤرة الاستعارة المكنية هنا الفعلان (قامت ، وتمرِّض) وهي استعارة قائمة على التشخيص إذ اسند الشاعر القيام والتمريض الى الرحمة وهي من المعنويات ، وهو اسناد يبعد التركيب اللغوي عن المألوف ، فالقيام ، والتمريض من صفات الإنسان ؛ ويبدو أن غاية الشاعر هنا هو بيان وحدة وغربة الإمام الحسين(عليه السلام) مع أصحابه وأهل بيته وهم صرعى في أرض كربلاء بلا ناصر ولا معين .

ويقول الشاعر في قصيدة أخرى في رثاء الامام الحسين (عليه السلام) [٢٩] :

كلّما عثرت رجْل الزمانِ عمى أخـذتَ في يـدهِ وقلـتَ لعـــا

وكَمْ رحمتَ الليالي وهي ظالمةٌ وما شكوتَ لها فعلا وانْ فضعا

تتوالى الصور الاستعارية القائمة على التشخيص في هذين البيتين ، فالزمان إنسان جائر يعثّر برجله الأعمى ، والإمام(عليه السلام) يأخذ بيده ويدعو له ، و الليالي امرأة ظالمة على الرغم من رحمة الحسين(عليه السلام) بها ، ولم يشكُ لها على الرغم من فضاعة أفعالها معه . وفي هذه الصور كلِّها جاءت البنية الاستعارية القائمة على التشخيص بإضافة مكونات حياتية إلى المعنويات مرّة ، وإضافة صفات إنسانية لها مرّة أخرى . وما كانت هذه الصور تحقق جمالاً لو لم يشخّص الشاعر المعنويات ، وينحرف في التعبير عنها من المباشرة إلى التأويل .

ومن الاستعارات المكنية القائمة على التشخيص ما ورد على لسان الشاعر في قوله [٣٠] :

لَمْ يطلبْ الَموتُ رُوحاً منْ نفوسِهُم الاّ وصَارمـك المَاضِي لـهُ شَفَعَـا

حَتّى إذا ضَاقَ الفَضـــا جعلـــتْ سيوفُكـم لَهُـم في الموتِ متّسعَـا

وغَصَّ فيهِم فمُ الغبْرا وكانَ لَهـم فَمُ الردَى بعدَ مضغ الحرب مُبتلعـا

ضَربتّ بالسَّيفِ ضَرباً لوْ تُساعِده يَدُ القَضاءِ لـَزالَ الشرك وانْقَشَعَـا

فاللافت في هذه الأبيات الشعرية طريقة الجمع بين صور عديدة مفصلها الأساس الاستعارة القائمة على التشخيص ،فالموت مسؤول عن طلب نفوسهم ، والسيف يشفع ويجعل لهم متسعا في الموت ،وللأرض فم يغصّ بهم ، ويصوّر الموت مرّة أخرى بصورة وحش كاسر يمضغ فريسته(الحرب) ثم يبتلع قتلاها ، وللقضاء يد تزيل الشرك وتقشعه . وكل هذه أشياء معنوية جامدة أضفى عليها الشاعر حيوية فائقة ، استطاع عن طريقها أن يبيّن مدى شجاعة الحسين (عليه السلام) في مقابل جيش يزيد واعتمد الشاعر عنصر الخيال في تشخيصه ، فاستطاع التشخيص هنا اكساب النّص الشعري شعرية خاصة ؛ وذلك لما امتلكه من قدرة ايحائية فضلا عن القدرة التأثيرية في ذهن المتلقي .

وقال في قصيدة أخرى يرثي فيها الحسين ((عليه السلام)) [٣١] :

سَمَا فاسْتَغاثَتْ فيهِ مِلةُ جَدهِ وهلْ تَستغيثُ الناسُ إلاّ ثِمالها

هنا استعار الشاعر(الاستغاثة) وهي بؤرة الاستعارة القائمة على التشخيص الى المِلة أو العقيدة والدين وهي من المعنويات ،فصوَّر الدين بصورة إنسان معرّض لخطر فيستغيث ويطلب العون من الإمام الحسين(عليه السلام)،ويبدو أنَّ الشاعر يريد هنا أنْ يثبت أنْ الإمام حينما خرج من المدينة قاصداً الكوفة كان لغرض الحفاظ على الدين الإسلامي ، والثورة بوجه من أراد لهذا الدين الاندثار ولقيمه ومبادئه وتعاليمه الضياع ،ولم يخرج لطلب السلطة كما يدعي بعضهم.

ويأت تشخيص الشعراء للأشياء من حولهم استجابة لرغبتهم في إسقاط مشاعرهم وأحاسيسهم عليها، ومن هنا يكون التشخيص صورة لواقعهم النفسي وما فيه من آمال وآلام، وأفراح وأحزان، فعندما يحس الشاعر بالحزن، ويضيق بالألم تنعكس هذه المشاعر على ما حوله، ففي قولـــه [٣٢] :

يا قتيلاً شَقَّتْ عليهِ المَعالِي جَيْبَها واكتستْ ضناً وسقامـــا
إنَّ دَهـــراً أخنَى عليـــــكَ لدهر عَيَّرتْه الدهورُ عاماً فَعامَا
بَلْ ويومـــاً قُتِلتَ فيهِ لَـيوم قدْ كَسَا ثوبَ حزنِهِ الأيَّامَـــــا

جسَّد الشاعر حزنَه العميق وهو يصوِّر المعالي وهي مفهوم عقلي مجرّد لا يدرك بإحدى الحواس بصورة امرأة ثكلى تَشق جيبها حزنا على ما جرى للحسين(عليه السلام) ، وأهل بيته وأصحابه ، وقد أدركها الوهن والضعف لشدّة حزنها. وقد أضفى الشاعر الحياة عليها ، وبثَّ فيها الروح ، فأصبحت في ضوء الاستعارة المكنية القائمة على التشخيص كائنا إنسانيا ذا حيوية فائقة استطاع به التعبير عن حقيقة مشاعره ، مبديا في ذلك شعوره الحزين الذي أطبق على نفسه الذي هو في حقيقة

الأمر شعور كل المسلمين تجاه الحسين(عليه السلام) حتى أن الجوامد والمعنويات شاركتهم هذا المصاب الجلل ، فكان التصوير معبِّرا بعمق عن الحزن على الواقعة الأليمة.

ثم ينتقل ليصوّر الدهر بصورة الإنسان الظالم الذي ظلم الإمام(عليه السلام) وإن بقية الدهور ظلَّت تعيّره على ظلمه هذا عاما فعاما وذلك باستعارة الفعلين(أخنى ، وعيَّر) – وهما بؤرة التشخيص– من عالمهما ؛ ليسقطهما على عالم آخر هو عالم المعنويات . ويستمر الشاعر ببث الحياة في المعنويات وتشخيصها فهو يصوِّر يوم مقتل الحسين (عليه السلام) إنسانا حزينا وقد كسا ثوب حزنه الأيام .

إنَّ دأب الشعراء ومنهم الشيخ صالح الكواز على إضفاء الصفات الإنسانية إلى المعنويات وتشخيصها ؛ للإفصاح عمَّا يعتريهم من حزن وألم ؛ وليعبروا عن حالتهم النفسية .

ويستمر الشاعر في تشخيص الدهر ونقله من دائرة المعنويات إلى دائرة جديدة يتماهى فيها عالم المعنويات مع عالم الإنسان، فيتجلى في ضوء التشخيص الاستعاري كائنا بشريا في قوله [٣٣] :

لكنَّما والدَّهر يَعلمُ أنَّنِي ألقَى حَوادِثَه بِحِلْمِ رَزِينِ

ومن الصور التشخيصية التي جاءت على لسان الشاعر تشخيص السيف في قوله [٣٤]:

وأخْلَفَها مَنْ قدْ دَعاها فلمْ تَجِدْ سِوى السَّيف مَهْما يُعْطها الوَعْدَ يَصْدق
فَمَالتْ الى أرْماحِها وسيُوفِها وأكـــرِمْ بِهـــا أنْصار صدقٍ وأخلــق

فالشاعر هنا في معرض الحديث عن أهل الكوفة، وكيف أنهم دعوا الحسين(عليه السلام) ؛ لنصرتهم وتخليصهم من الحاكم الظالم وقطعوا له العهود ، ثم أخلفوا بوعدهم ولم يجد الحسين (عليه السلام) سوى السيف صادقا معه ، فأضاف صفة من الصفات الإنسانية إلى السيف وهي الصدق والوفاء بالوعد ، والسيف في هذه الصورة أصدق من الإنسان ، وأي صورة هذه التي جعل فيها الشاعر السيف أصدق من أولئك الذين أخلفوا بوعودهم للإمام الحسين (عليه السلام) وهو توبيخ واضح لهم ؛ لذا فالحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه على وفق ما يصوّر الشاعر مالوا الى الرماح والسيوف واتخذوهم أصحابا ؛ لصدقهم وما كانت هذه الصورة تحقق روعتها لو لم يشخص السيف و تستعار له صفات البشر .

ويستمر الشاعر بصيدته الى أن يصل إلى قوله [٣٥]:

فَتاقَتْ الى لُقْيا الإلـــه نفوسها ففارقن مِنْها كلَّ جسمٍ مفرق

وهنا يستعير الشاعر الفعل (تاق) من عالمه في الشوق والمحبة الظاهرة الى خروج النفس من الجسد قتلا ، فالنفس كائن حي يشتاق للقيا من يحب ، والشاعر يصور نفس الحسين (عليه السلام) ونفوس أهل بيته وأصحابه لم تخرج من أجسادهم ؛ لأن الموت طلبها وإنما خرجت شوقا للقيا خالقها .

استمر الشاعر في تشخيصه لعناصر الطبيعة ليبث فيها الحياة فهي وسيلته لنقل تجربته الشعورية الى المتلقي ففي قوله [٣٦] :

فَقُلْ للنجوم المُشْرِقـات ألا اغْرُبِي ولا تَرْغَبِي بعدَ الحُسين بِمشرقِ
فَقدْ غَابَ منْها في ثَرى القبرِ نَيِّرٌ مَتى هي تستقبلُ مُحيـّاه تشرقِ
وقُـلْ للبِحارِ الزَّاخِرات ألا انْضبِي مَضى مَنْ نَـدَاه مَدَّهــا بالتَّدفقِ

فالتشخيص واضح جلي في النَّص الشعري في كلمة (النجوم) عن طريق ارتباطها بالفعل (قل) ، والفعل (اغربي)، والفعل (لا ترغبي)، فالشاعر جعل من مظاهر الطبيعة كائنا يشارك الانسان صفاته ، فالنجوم يقال لها ، وتأمر ، وتنهى ، وتستقبل ، وأيضا كلمة البحار فهي أيضا تأمر وتنهى . ويتناسب هذا النوع من التصوير القائم على التشخيص مع بعض الأغراض الشعرية ، نجو : الرثاء ، والنسيب وكل ما يوجب حزنا والشاعر يلجأ اليه ؛ لكونه أكثر تأثيرا في نفس المتلقي .

وفي قولــه في قصيدة أخرى يرثي بها الحسين (عليه السلام) و من استشهد معه [٣٧] :

سَلَكـوا بِحـاراً مِنْ دِماء أُميَّــة بظهورِ خيلٍ لا بطون سَفينِ
حتّى إذا التَقَمَتهُم حوتُ القَضا وهِي الأمَاني دون خيرِ أمينِ
نَبذتْهُم الهَيْجاء فَوقَ تِلاعِهــا كالنــونِ يَنْبذ بالعَـرَى ذَنّونِ

يعود الشاعر للمقاربة بين قصص الأنبياء(عليهم السلام) وقصة الامام الحسين(عليه السلام) في معركة الطف ، فكما التقمت الحوت سيدنا يونس(عليه السلام) حينما ذهب مغاضبا ربه التقمت الحوت الإمام الحسين (عليه السلام) ومن معه في معركة الطف ، لكن الحوت هنا هي حوت القضاء وليست الحوت الحقيقية ، والإمام الحسين وأصحابه لم يذهبوا مغاضبين ربهم إنما ذهبوا للشهادة في سبيل دين الإسلام وتلك هي أمانيهم وهي الشهادة في سبيل الله ، اذن صوّر الشاعر القضاء والقدر بصورة حوت التقم الحسين (عليه السلام) ومن استشهد معه من أهل بيته واصحابه ،

وهنا أضفى الشاعر صفات الكائنات الحية على المعنويات ليبث الحياة فيها . ثم بعد التقام حوت القضاء لهم ألقتهم الحرب وهنا يشخّص الشاعر الحرب ويضفي لها بعض من صفات الإنسان ، فـ (نبذ) وهو بؤرة الاستعارة القائمة على التشخيص فعل مختص بالإنسان استعاره الشاعر للهيجاء ، ثم يسند هذا التشخيص بأسلوب التشبيه الوارد في عجز البيت الشعري الذي شبّه فيه الشاعر الحرب بالحوت التي التقمت النبي يونس(عليه السلام) فكما نبذت تلك الحوت النبي يونس(عليه السلام) في العراء نبذت الحرب الحسين(عليه السلام) وأصحابه وأهل بيته فوق هضباتها .

وهنا يمكن القول إن توظيف الشاعر للتشخيص في علوياته كان توظيفا موفقا ومناسبا لما هو عليه ، فقد حقق انعكاسا صادقا لما يشعر به من لوعة وحزن على الواقعة الأليمة ، فضلا عن ترسيخ الصورة في ذهن المتلقي ، وتوليد رغبة التأمل والقراءة عنده ، وتحريك شعوره وشدّه الى زيادة التخييل وتصوّر المعاني من خلال الأشياء المشخصة .

الخاتمـــــة :_

بعد هذه القراءة لعلويات الشيخ صالح الكواز الحلي في ضوء التشخيص تبيّن الآتي:

– تنبه البلاغيون والنقاد العرب القدماء الى التشخيص دون معرفة أن يسموه ، وتباينت آراؤهم حوله بين مؤيد ومعارض إلا انهم أجمعوا على أهمية التشخيص في بناء الصورة الفنية.

– إن من ينعم النظر في علويات الشيخ صالح الكواز يجد ظاهرة التشخيص من أبرز أدوات التشكيل الاستعاري التي اتكأ عليها ، فقد عمد الشاعر إلى تشخيص المعاني المجردة ، والظواهر الطبيعية، والماديات منها تشخيصه للمنيّة ،والدهر، والسيف، والأيام ،والزمان،والنجوم ، والبحار... الخ ؛ ليسقط عليها أحاسيسه ويعبّر عمَّا يجول في نفسه من مشاعر وأحاسيس .

– ارتبط توظيف التشخيص في علويات الشيخ صالح الكواز بموضوع استشهاد الإمام الحسين(عيه السلام)، وأهل بيته وأصحابه ؛ لذا كان توظيفا موفقا ومناسبا لما هو عليه ؛ فقد حقّق التشخيص في علوياته انعكاسا صادقا لما يشعر به من لوعة وحزن على الواقعة الأليمة ، فضلا عن ترسيخ الصورة في ذهن المتلقي ، وتوليد رغبة التأمل والقراءة عنده ، وتحريك شعوره وشدّه الى زيادة التخييل وتصوّر المعاني عن طريق الأشياء المشخّصة .

– حاول الشاعر صالح الحلي الكواز توظيف النَّص القرآني في علوياتـه بطريقة رائعة تنم عن إمكانيتـه الفنية واللغوية وثقافته الدينيـة ؛ ممّا أعطى أسلوب التشخيص جماليـة وقوة وروحا جديدة ، وهو الأمر الذي تميّز به أسلوب التشخيص عند الشاعر عن غيره من الشعراء .

الهوامش

(١) هو أبو المهدي الشيخ صالح بن المهدي بن الحاج حمزة آل نوح . للاستزادة عن حياة الشيخ صالح الكواز

الحلي ينظر: ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٣–١٤ ، والبابليات: ٢/٨٧–٩٠ ، والطفيات المقولة والاجراء النقدي : ١٠٤–١٠٧ . من قبيلة الخضيرات احدى عشائر شمر. ينظر : ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤، والبابليات : ٢/٨٧ ، ولـد في مدينة الحلة سنة١٢٣٣هـ _١٨٤٦م وإليها ينسب لقبه بالحلي. ينظر: ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤ ، ومشاهير شعراء الشيعة : ٢/٣١٦ ، و الطفيات المقولة والاجراء النقدي : ١٠٤، ولقب بالكواز؛ لأنه كان يتعاطى مهنة أبيه وهي بيع الكيزان والجرار والأواني الخزفية . ينظر: ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤، ادب الطف : ٧/٢١٤–٢١٥،والطفيات المقولة والاجراء النقدي: ١٠٤، درس النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان على خاله الشيخ علي العذاري وعدد من الشيوخ ، وتعلم الفقه وعلوم الدين على العلامة السيد مهدي القزويني ، فضلا عن تضلعه

في جملة من العلوم الرياضية. ينظر : ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤–٥ ، توفي الكواز سنة(١٢٩١هـ) ،وقيل(١٢٩٠هـ) في مدينة الحلة ، ودفن في النجف الأشرف. ينظر : ديوان الشيخ صالح الكواز

الحلي :٤ ، والطفيات المقولة والاجراء النقدي :١٠٦

(٢) ينظر : ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ١٤، والطفيات المقولة والاجراء النقدي : ١٠٦

(٣) ينظر : ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي :١٥

(٤) ينظر : نفسه :٧

(٥) ينظر : التصوير الفني في القرآن : ٥٧

(٦) ينظر : الصورة الفنية عند النابغة الذبياني :١١٨

(٧) معجم المصطلحات الأدبية : ٣٧

(٨) ابن الرومي حياته من شعره : ٢٣٤

(٩) معاني القران :٢/٧٨

(١٠) البيان والتبيين :٨٦/١

(١١) أسرار البلاغة: ٤٣

(١٢)عيار الشعر : ١٩٨-١٩٩

(١٣) ينظر : الموازنة : ٢٣١/١

(١٤) ينظر : نفسه: ١/ ٢٦٩-٢٧٠ ، ١/ ١٤٦ ، ٢٧١/١

(*)جعل أكثر من باحث مصطلح التجسيد مرادفا لمصطلح التشخيص من منطلق ان الجسد مختص بالإنسان ، لكن مصطلح التشخيص اكثر استخداما لارتباطه بالشخصية الانسانية . ينظر: الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير :٣٧

(١٥) الصورة الادبية :١٣٦

(١٦) في المصطلح النقدي :١٧٦

(١٧) التصوير الفني في القرآن : ٧٣، ونظرية التصوير الفني عند سيد قطب : ١٣٥/٢

(١٨) ينظر: التصوير الفني في القرآن :٧٣

(١٩) للتشخيص تعريفات كثيرة ينظر على سبيل المثال لا الحصر ينظر: المعجم الأدبي:٦٧، ومعجم المصطلحات المعاصرة مادة (شخص) : ١٢٦، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مادة (تشخيص) ، والصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي :٨٤، والحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨حتى ١٩٧٥ م دراسة نقدية : ٤٤ ، والتصوير الفني في شعر محمود حسن اسماعيل: ٨٧ ، ومعالجة النص في كتب الموازنات: ١٢٠ ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام :١٦٩، وفي النص الأدبي دراسة اسلوبية احصائية :١٩٥، والنقد التطبيقي التحليلي : ٣١، والاستعارة في التراث النقدي البلاغي عند العرب : ١٢٠، والتشخص الفني لعناصر الطبيعة في القرآن الكريم :الدكتور كاصد ياسر الزيدي ، مجلة منار ، دولة الامارات العربية ،ع٩، ٢٠٠٤،ص٢٤

(٢٠) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ١٧

(٢١) نفسه : ١٧

(٢٢) ينظر: الطفيات المقولة والاجراء النقدي :١١٠

(٢٣) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : ديوان الخنساء : ٧٢، ٨٣ ،٩٩ ، وديوان أبو فراس الحمداني :٤٥،٤٧،٩٩ ، ٣٤١ ، والاعمال الشعرية الكاملة لنازك الملائكة : ٣٨٤

(٢٤) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي :١٨

(٢٥) نفسه : ٢٤

(٢٦) ينظر: الطفيات المقولة والاجراء النقدي :١١٩

(٢٧) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي :٢٤

(٢٨) نفسه : ٢٤

(٢٩) نفسه : ٢٩

(٣٠) نفسه : ٣٠
(٣١) نفسه : ٣٩
(٣٢) نفسه : ٤٤
(٣٣) نفسه : ٤٦
(٣٤) نفسه : ٣٤
(٣٥) نفسه : ٣٥
(٣٦) نفسه : ٣٦
(٣٧) نفسه : ٤٧

قائمـــة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أولا : الكتـــب :

ابن الرومي حياته من شعره : عباس العقاد . مؤسسة منظورة للطباعة ، بيروت ، لبنان .

ادب الطف او شعراء الحسين عليه السلام من القرن الاول الهجري حتى القرن الرابع عشر :حواد شبر . ط:١ ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، ٢٠٠١م .

أسرار البلاغة :عبد القاهر الجرجاني . تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، ط:١، دار المدينة ، جدة ، ١٩٩١ م.

الأعمال الشعرية الكاملة : نازك الملائكة . ط:١، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ٢٠٠٢م .

البابليات : محمد علي اليعقوبي . ط:٢ ، دار البيان ، مصر ، ١٩٥١م .

البيان والتبيين : عمرو بن بحر بن محبوب ابو عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ) . دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢هـ .

التصوير الفني في شعر محمود حسن اسماعيل :الدكتور مصطفى السعدني . منشأة معارف ، الاسكندرية .

التصوير الفني في القرآن : سيد قطب . دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٨م .

الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨حتى ١٩٧٥م دراسة نقدية : صالح خليل أبو اصبع . المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م.

ديوان أبي فراس الحمداني : خليل الدويهي . ط:٢ ، دار الكتاب العربي : ١٩٩٤م.

ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : الشيخ صالح الكواز الحلي . عني بجمعه وشرحه وترجمة اعلامه :محمد علي اليعقوبي ، ط:١ ، مطبعة النجف الأشرف ، النجف الاشرف ، العراق، ١٣٨٤هـ.

ديوان الخنساء : تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ،١٩٩٦م.

الصورة الادبية : مصطفى ناصف . ط:١، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٣م.

الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير : وجدان الصايغ . ط:١ ، المؤسسة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٣م .

الصورة الفنية عند النابغة الذبياني : خالد الزواوي . الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ١٩٨٨م.

الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاي عند العرب : الدكتور جابر عصفور . ط :٢، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،١٩٨٣م.

الصورة الفنية في شعر أبي تمام: عبد القادر الرباعي . ط:١ ، شركة المطابع النموذجية ، ١٩٨٠م .

الطفيات المقولة والاجراء النقدي : الدكتور علي كاظم المصلاوي . ط:١ ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، العتبة العباسية ، كربلاء ، ٢٠١٢م.

عيار الشعر : محمد بن احمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم طباطبا الحسني العلوي (ت ٣٢٢هـ) . تحقيق : عبد العزيز بن الناصر المانع ، مكتبة الخانجي، القاهرة .

في المصطلح النقدي : الدكتور أحمد مطلوب . مطبعة المجمع العلمي ، ٢٠٠٢م.

في النص الأدبي دراسة اسلوبية احصائية : الدكتور سعد مصلوح .ط:٣ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٢م.

مشاهير شعراء الشيعة: عبد الحسين الشيشتري . ط:١ ، ستارة ، قم ، ١٤٢١هـ .

معالجة النص في كتب الموازنات منهج وتطبيق : سعد أبو الرضا . منشأة المعارف ، ١٩٨٩م .

معاني القران :أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت٢٠٧هـ) . تقديم وتعليق : ابراهيم شمس الدين ، ط:١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢م.

المعجم الأدبي : جبور عبد النور . ط:١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩م.

معجم المصطلحات الأدبية : ابراهيم فتحي . ط:١، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ، تونس ، صفاقس ، ١٩٨٦م.

معجم المصطلحات المعاصرة :سعيد علوش . دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٥م.

معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبة وكامل المهندس . لبنان ، ١٩٧٩م.

الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق : عبد الله أحمد محارب ، ط : ١، دار الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

نظرية التصوير الفني عند سيد قطب : صلاح عبد الفتاح الخالدي . شركة الشهاب ، الجزائر ، باتنة ، ١٩٨٨م.

النقد التطبيقي التحليلي : عدنان خالد عبد الله .ط:١ ، بغداد، ١٩٨٦م.

ثانيا : الرسائل والاطاريح :

الاستعارة في التراث البلاغي النقدي عند العرب : فاضل عبود خميس التميمي ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٥م.

ثالثا :الدوريات :

التشخيص الفني لعناصر الطبيعة في القرآن الكرين :الدكتور كاصد ياسر الزيدي ، مجلة منار ، ،ع٩، ٢٠٠٤، دولة الامارات العربية